

التعريف والنقد

محمد لطفي جمعة وهؤلاء الأعلام

١٩٥٠ - ١٩٠٠

تأليف رابع لطفي جمعة

دار الوزان - المعادي (القاهرة) ١٩٩١

الدكتور عدنان الخطيب

١ - الصحافة العربية تعاصر النهضة القومية

حفل مطلع القرن العشرين الميلادي ، بنخبة من أفذاذ الرجال ذوي النزعة العربية في كل من مصر وبلاد الشام ، حيث كانت هذه البلاد جزءاً من الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية ، بينما كانت مصر تنوء بالاحتلال البريطاني ، وقد احتلها الانكليز عنوة وفصموا رابطتها بدولة الخلافة ، فكان أولئك الأفذاذ يعملون ، ماوسعهم العمل ، على بث الفكرة العربية باحياء كنوز التراث العربي المجيد ، وبخدمة الفصحى لتحل المكانة اللائقة بها في الكتابة والخطابة والتدريس .

كانت مصر مصدر الإشعاع العربي ، كما كانت صحافتها رائدة النهضة العربية ، إذ كانت تعيش في جو أدنى إلى الحرية والديمقراطية من الجو الذي كانت تعيش فيه صحافة البلاد العثمانية وبلاد الشام جزء منها . في تلك السنوات كانت أكام الصحوة العربية تتفتح ، كما كان أريج الاعتزاز بالعروبة يعبق في أجواء بلاد الشام ووادي النيل ، مما حمل كثيرين من أحرار الشام وكبار رجال الصحافة فيها ، على اللجوء إلى

مصر للتمتع بما فيها من مباحج الحياة الأوربية ، أو بما يرين على صحافتها من جو فيه الكثير من الحرية والانطلاق ، وفيها التقى قلمان عربيان على صفحات مجلاتها وجرائدها ، فارتبط صاحباهما بصداقة وودة عميق ، صداقة أغنت ، في قابل الأيام ، المجمع العلمي العربي الذي قام بدمشق عام ١٩١٩ ، بعضو يعتز المجمع بانتسابه إليه ، كما أثرت المكتبة العربية بكتاب فيه متعة وعلم وتاريخ .

كان القلم الأول قلم الصحافي الشامي الفذ ، محمد كرد علي مؤسس المجمع العلمي العربي والرائد الأول لمجامع الوطن العربي ، والقلم الثاني كان قلم الصحافي المصري ، الخطيب المفوه والعالم الموسوعي الكبير محمد لطفي جمعة الذي غدا سنة ١٩٣١ عضواً في مجمع دمشق بترشيح من صديقه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

٢ - احياء اسم محمد لطفي جمعة

هال المستشار رابح لطفي جمعة ، ونحن في عصر ثورة اجتماعية كبرى من شعاراتها « العدالة الاجتماعية » و « احياء الأجداد » ، ماحاق باسم أبيه من جحود وإغفال ، فقام عام ١٩٧٥ بتأليف كتاب ترجم فيه لوالده « ملتزماً فيه بالاستطاع ، جانب الموضوعية والحيطة الكاملة ، محاولاً ماوسعه الجهد ، إبراز صورة كاملة عن لطفي جمعة ... أحد رواد نهضتنا الحديثة منذ مطلع القرن الحالي ، وأحد الدعاة الأوائل إلى العدالة الاجتماعية^(١) » .

(١) انظر مقدمة المستشار رابح لطفي جمعة لكتابه « محمد لطفي جمعة » الذي صدر برقم ٥ في سلسلة « الأعلام » التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣ - كتاب جديد لإحياء ذكرى محمد لطفي جمعة

عثر المستشار رابع لطفي جمعة بين أوراق أبيه ومؤلفاته ، على ملف تضمن مجموعة من الرسائل التي كان والده قد تلقاها من عدد يربو على الخمسين من أعلام كانوا من كبار المرموقين في ذلك العصر ، أمثال : محمد عبده وسعد زغلول ومحمد كرد علي وطه حسين وأحمد شوقي وشكيب أرسلان و خليل مطران وغاندي وماسينيون وأضرابهم من أعلام الشرق والغرب ، وجلّ هؤلاء من الأعلام الذين وفاهم حقهم من الترجمة والتعريف خير الدين الزركلي في كتابه الفذّ « الأعلام » .

كانت الرسائل التي حفظها محمد لطفي جمعة تتضمن تفصيلات أو تعليقات أو طلب معلومات عن حوادث وقعت أو آراء نشرت ، مما يفيد المتبع لتاريخ ذلك الزمان أو المستقصي لأخبار أولئك الأعلام أو تلك الآراء .

لم يجد المستشار رابع لطفي جمعة طبعاً ، مابعث به والده إلى أولئك الرجال من مبادهة أو ردّ ، إنما وجد في نشر ما عثر عليه فائدة للمهتمين بالتاريخ ومتعة للمتأدبين والباحثين ، على أنه لم يكتف باثبات نص الرسائل التي عثر عليها فحسب ، بل أجهد نفسه فترجم لكل واحد من الأعلام الذين راسلوا والده ، ترجمة تعرف قارئها بهوية صاحب الرسالة ، وتعيّنه على تحديد مركزه أو رأيه في الموضوع أو المسألة محل البحث .

إن الترجمات التي أوردها المستشار رابع لطفي جمعة في كتابه إنما تعتمد - على ما يظهر - على ماتوافر لديه من مصادر ، أو على ماهو شائع ومعروف ، أو على ما وجده بين ثنايا مذكرات أبيه ، لذلك جاءت

ترجماته لأولئك الاعلام متفاوتة في طولها وتدرجها ، مختلفة في أسلوبها ودقتها ، فنرى بعضها مسهباً يحتل عديداً من الصفحات ، وبعضها مقتضباً لا يتجاوز بضعة أسطر ، وقد أشير في بعضها إلى المصدر التي أخذت منه ، بينما أهملت الإشارة إلى مظان وجود ترجمة للقلم المقصود بها .

فهذه مثلاً ، ترجمة المستعرب الفرنسي لويس ماسينيون ، فقد احتلت بضع عشرة صفحة ، تخللها عرض لآرائه في الدين عامة وفي التصوف خاصة ، كما فيها تأكيد شائعة اعتناقه الإسلام مع دفاع مسهب عن صحة هذا الاعتناق .

وما تضمنته ترجمة لويس ماسينيون طرائف بعضها جدير بالتنويه ، فقد وردت قصة قسيس أقامه الفرنسيون ، أثناء احتلالهم المغرب العربي جاسوساً يعينهم على الاحتلال فمات ، فسجل لطفي جمعة في مذكراته مايلي : (إن ماسينيون أظهر لي مقالة قال إنه كتبها دفاعاً عن قسيس متعبد في جبال مراکش اسمه شارل فوكو وأنه كان جاسوساً ، أو ظنه الفرنسيون كذلك ، فقالوا بعد موته : إنه سيصير في الجنة رئيس قسم التجسس ! وقال لي ماسينيون : انظر إلى سخافة الفرنسيين !) .

ومن أغرب ما سجله لطفي جمعة من أحاديثه مع لويس ماسينيون تعريضه بتلميذه القديم وصديقه الحميم وزميله في مجمع القاهرة اللغوي بالفاظ مستهجنة تشير إلى حبّ طه حسين للمال وأنه ممن أعمتهم المادة .

هذا ، ومع سعة ما كتب عن لويس ماسينيون ، فإن ترجمته لم تكن وافية ، إذ لم يشر فيها إلى أنه التحق في بدايات حياته بالأزهر الشريف على كثلكته ، مقلداً المستعرب المجري إجناس كولد صهر على يهوديته ، كما لم يشر فيها إلى أن ماسينيون كان يشغل منصباً في وزارة الخارجية

الفرنسية ، بدأه بوظيفة ملحق بالمفوض الفرنسي جورج بيكو الذي قام بدور مريب قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى .

كل هذا في ترجمة لويس ماسينيون بينما نجد في ترجمة الأمير شكيب أرسلان تعداداً للمصادر التي ترجمت له بعد وفاته ، وللكتب التي ألقت في سيرته وجهاده ، إلا أن محمد لطفي جمعة ، وهو يثبت احتفاء الشعب السوري بالأمير عندما سمحت له فرنسا بالدخول إلى سورية ، أغفل بيان مصدر قوله : « وأصدرت الحكومة السورية قراراً بتعيينه رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق تقديراً له » وهذا شيء لم يحدث أبداً ، وأظن أن المرحوم لطفي جمعة تقل هذا الخبر عن صحيفة سورية كانت أشارت إلى الفكرة نفسها ، مما حمل الحكومة على دراستها فتبين لها أن القانون لا يسمح بها لأن الأمير كان لبنانياً وهو مجرد عضو مراسل في المجمع .

٤ - ترجمة محمد كرد علي في الكتاب

كان نصيب الحديث عن علاقة محمد كرد علي بمحمد لطفي جمعة ملء الصفحات ١٠٣ - ١٠٨ وهي تتضمن ترجمة موجزة له مع نص رسالتين خط كرد علي الأولى من باريس سنة ١٩٠٩ وخط الثانية من ليانكور (واز) سنة ١٩١٠ .

كما تضمنت تلك الصفحات رسالة ثالثة بعث بها محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي وكان يشغل منصب وزير معارف سورية ينبئ فيها محمد لطفي جمعة بانتخابه عضواً مراسلاً للمجمع ، طالباً إليه تزويده بنبذة من ترجمته وبرسم شمسي ، وهناك رسالة رابعة مثبتة يعلم فيها كرد علي صديقه جمعة بوصول ترجمة حياته ورسمه مع الشكر الجزيل على إرسالها .

ومما هو جدير بالذكر أن رسالة كرد علي من باريس تضمنت لقاءه بالدكتور عثمان غالب ، وقد تفضل المستشار رابع لطفي جمعة فترجم لنا في هامش كتابه لهذا الطبيب ترجمة موجزة ، ولكنها غير موثقة بمصدر ، يذكر فيها أنه هو مكتشف دودة القطن في مصر سنة ١٨٧٩ ، وأن مستشار وزارة المعارف الإنكليزي حال دون تعيينه ناظراً لمدرسة الطب لمجرد كونه مصرياً .

ولم تخل ترجمة محمد كرد علي من بعض الأخطاء الطباعية ، أهمها كان في ذكر أن تأسيس مجمع دمشق كان سنة ١٩١٦ وصحتها ١٩١٩ . ومما يستلفت النظر في الترجمة نفسها ورود هذه العبارة : « ولما تألفت حكومة الشيخ تاج الدين الحسني الأولى عين مرة أخرى وزيراً للمعارف من سنة ١٩٢٨ حتى سنة ١٩٣١ ثم عاد لمزاولة الصحافة فأصدر بالاشتراك مع خليل مردم جريدة المقتبس .. » ولست أدري من أي مصدر نقل المستشار رابع لطفي جمعة العبارة المذكورة ، والثابت أن الشيخ تاج الدين الحسني أقيل من رئاسة وزارته الثالثة بتاريخ ١٩ من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣١ غير أن بعض وزرائه ومنهم كرد علي بقوا في مناصبهم إلى أن قامت الجمهورية السورية الأولى فتخلى هؤلاء عن مناصبهم بتاريخ ١١ من حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢ .

أما القول بأن كرد علي عاد بعد تقلده الوزارة إلى الاشتغال بالصحافة مثل القول باشتراكه مع خليل مردم ، فهذا أمران لم يحصل قط .

٥ - كتاب جدير بالقراءة

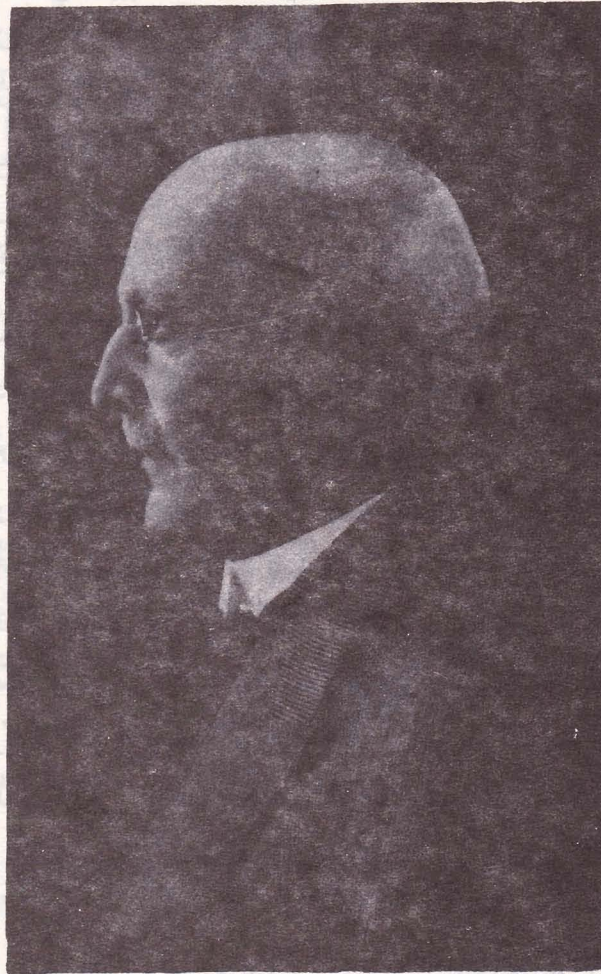
إن كتاب المستشار رابع لطفي جمعة كتاب ممتع ، وجدير بكل أديب أو مثقف عربي أن يقرأه ، فإن لم يكن من متبعي الحياة

السياسية في مصر التي أدت بالنظام الملكي العريق فيها إلى الزوال ، أو لم يكن من متبعي أدوار النهضة العربية خلال النصف الأول من هذا القرن ، فإنه ولاشك كان من معاصري النهضة الأدبية في مصر وسائر الأقطار العربية ، أو من الراغبين في الاطلاع على خفايا تلك النهضة التي نستطيع أن نطلق على أيامها « عصر المجلات الأدبية » وأعني بقولي مجلات « السياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة ... » .

لقد حمل لواء النهضة في عصر تلك المجلات أمثال : هيكل وطه حسين ولطفي السيد والزيات وأحمد أمين وشكيب أرسلان ومحمد كرد علي والعقاد والمازني ، وكان أن عمت نشوة حبّ العربية بأدائها وفصاحتها وبيانها المشرق مصر وسائر البلاد العربية ، وكان لهؤلاء الأعلام وأضرابهم منتدياتهم وندواتهم ومقاهيهم ، وكان لاجتماعاتهم ومجالسهم واختلافاتهم ، أحاديث وأسرار يتداولها الناس بعد تسريبها إليهم (مبهرة معصرة) ممزوجة بالخيال الواسع والأمانى الضيقة .

كان لكل واحد من أولئك الأعلام نهج أدبي خاص تتحكم فيه أهواؤه من حبّ وكره أو غرام وبغض ، والناس إنما يتمتعون بتفسير ما يرونه من نهج الواحد منهم أو بالتعليق عليه . وفي كتاب المستشار رابح لطفي جمعة متعة عظيمة لمن يحب معرفة حقيقة بعض ما كان يدور على ألسنة الناس .

وخير مثال نضربه على ما ذكرناه ، الفصل الذي عقده مؤلف الكتاب عن ميّ زيادة ومنتداها الأدبي ، وقد تزامم أعلام ذلك الزمان على حضوره ، واتهم أكثر من واحد منهم بحب أو عشق صاحبة المنتدى ، حتى أن بعضهم تخيل وقوعها في غرامه فألف كتابا يدور حول ماتخيله .



الأستاذ الصحافي الكبير محمد كرد علي
رئيس المجمع العلمي العربي



الأستاذ الصحافي الكبير محمد لطفي جمعة

عضو المجمع العلمي العربي المراسل

لقد كانت تدور بين أعلام الأدب في مصر حرب خفية ، والتردد على منتدى الأنسة ميّ من عوامل تأججها ، وبلغت تلك الحرب ببعضهم إلى المقارعة والمبارزة في ساحة الشتم والقذع بنشر المقالات المطولة أو وضع التآليف المسهبة .

إن موضوع منتدى ميّ زيادة ومدى علاقتها برواده ، موضوع تطرق إلى الكتابة فيه أو التآليف عنه جمهرة من أفاضل الأدباء وعدد من كرام الأدبيات ، وكان لكل واحد منهم رأي فيما نسب إلى رواد المنتدى أو ادعوه بأنفسهم ، مما حمل المستشار رابح لطفي جمعة على عرض مفصل لكل ما قيل مستعيناً بذكرات والده وبالرسائل التي بعثت بها إليه الأنسة ميّ ، وكان موفقاً إلى حد بعيد في عرضه ، جامعاً لمختلف الآراء وكان من أرجحها ما كتبه زميلنا الجمعي وديع فلسطين في كتابه : « ميّ ، حياتها وصالونها وأدبها » حيث أكد أن ميّ لم تشغل نفسها كثيراً بالمستقبل ، ولو أنها حكمت عقلها قليلاً لاختارت من ترفد به حياتها في سنوات عمرها المتقدمة ، ولو كانت عملية لاختارت زوجاً يقف معها في مرحلة الحياة ، ولكن العمر أخذ يتقدم بها وخلا صالونها من رواده وتحولت حياتها خواء فركبها الهم والقلق والرعب حتى بلغت سن اليأس وما يصاحب هذه السن عند المرأة من توتر عصبي وقلق شديدين فبدأت آثار المرض النفسي تظهر عليها وانعكس ذلك على حالتها الصحية . .

أما سبب عزوف ميّ عن الزواج ، فيغلب على الظن أنها لم تعثر بين رواد منتداهها أو بين الذين تقدموا لخطبتها - على وجود عطاء ورجال من المرموقين بينهم - من تتبادل وإياه أهلية الزواج من عاطفة أو سن أو مركز اجتماعي . مما حملها على التعلل لمحمد لطفي جمعة وكان يبحث معها سبب عزوفها عن الزواج ، إذ قالت له : إنها من صغرها كانت تميل إلى التبتل والطهر .